بسم الله الرحمن الرحيم
يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ

الصادقين

الإسلام محتاج الى جميع أبنائه

الثلاثاء ٥ جمادى الآخر ١٤٤٥ هـ / ١٩ كانون الأول ٢٠٢٣ م — العدد ٢٤٠

نشرة تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوي وأخبار سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨] السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تكشف سبّب معاداة الحق

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً﴾ [آل عمران: ١٦٤]

السيدة الزهراء (عليها السلام) تذكّر الأصحاب بنعمة[1] النبي (صلى الله عليه وآله)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

﴿الْمَنّ﴾ ما يوزن به للأثقال الكبيرة، وأشير به إلى ثقل هذه النعمة، وهي بعثة النبي (صلى الله عليه وآله) بالرسالة الإلهية، والمَن من الله حسن لأنه إنعام فعلي، وكذا يحسن من الانبياء (صلوات الله عليهم اجمعين) ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩]؛ لان عطاءهم بغير جزاء، وإنما قبح المنّ من الناس لأنه بالقول والكلام مما يسيء للآخر ويوجب مهانته ﴿لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤] وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (والمَنّ مفسدة للصنيعة)(٢).

ففي الآية تذكير مؤكّد باللام و(قد) بالمنّة العظيمة التي وهبها الله تعالى لعباده المؤمنين جميعاً من أول الإسلام إلى نهاية الدنيا لأن لفظ المؤمنين عام، ولا تختص هذه المنّة بمن كانوا على عهد النبي (صلى الله عليه وآله) وإن كانوا هم المخاطبين لوضوح أثر هذه النعمة في حياتهم، بل لا تختص المنّة بالمؤمنين وإنما تعمّ جميع البشر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان: ١]، وإنما ذكر المؤمنون خاصة لأنهم شكروا هذه النعمة قولاً وعملاً فتنعموا بها فعلاً حينما حَرَم الآخرون أنفسهم منها بالتمرد والعصيان.

وهذه المنة العظيمة هي ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ﴾ هذا النبي العظيم بالرسالة الإلهية الخاتمة، فصفة هذا الرسول أنه يعيش في أوساطهم، يأكل الطعام مثلهم ويمشي في الطرقات معهم ويشاركهم في شؤون حياتهم، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦] ليكون مثالاً عملياً، وأسوة حسنة لهم، ولو كان من غير جنس البشر ويعيش في غير عالمهم لاستوحشوا منه وأنكروه، وما تأثروا به حيث يدّعون أن له خصوصية كالملائكة مثلاً.

كما أنه ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ وليس فقط منهم ومثلهم في طبيعته البشرية ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] فصِلته بكم وثيقة وارتباطه النفسي بكم عميق، وفي ذلك تحفيز للمؤمنين أن يطيعوه ويعملوا بشريعته أكثر حتى تتعمق هذه الصلة النفسية به (صلى الله عليه وآله).

وذكرت الآية الكريمة مظاهر هذه المنّة العظيمة، فهو (صلى الله عليه وآله) ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ التي تنزل من ربه، فهو واسطة الوحي الإلهي والفيض الرباني بين الناس وخالقهم ويوصل إليهم رسائله تعالى متتابعة حسبما تصل إليه.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويطهّر قلوبهم من الامراض المعنوية كالغلّ والحقد والانتقام ويهذّب نفوسهم من رذائل الشهوة والغضب والحرص والاستكانة والعبودية، ويحسّن أخلاقهم بالعلاجات الروحية التي يفيضها الله تعالى عليه فهو (طبيب دوار بطبه)(٣) كما وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام).

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يشرح لهم هذا القرآن العظيم المنزل ويفسّر آياته ويبين أسراره بالسنة الشريفة، فالحكمة إما من باب ذكر الخاص بعد العام لأن من صفات الكتاب أنه حكيم، أو أنها السنة مقابل الكتاب، حيث يفتح لهم من كنوز العلوم والمعارف ما فيه سعادتهم وهدايتهم واستقامتهم وحمايتهم من الضلال والانحراف، وصلاح أمورهم في الدنيا والآخرة ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥] ﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ٢].

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فقد كانوا قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وآله) في جاهلية ظلماء، تفتك بهم الحماقات

التتمة في الصفحة الثانية

(١) قبس من نور القرآن ضمن درس التفسير الأسبوعي الذي ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على فضلاء وطلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف يوم الأربعاء ٧/جمادي الأولى/١٤٤٥ الموافق ٢٢ /١١ /٢٠٢٣.
(٢) الإرشاد: ١/ ٣٠٧، بحار الأنوار: ٧٤/ ٤٢١. (٣) نهج البلاغة: ١/ ٢٠٧، الخطبة (١٠٨).

إحياءً لذكرى شهادة السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تبرع(١١) سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بقنينة من الدم لألفات النظر إلى قضية الأطفال المصابين بمرض سرطان الدم (اللوكيميا) وفقر الدم البحري (الثلاسيميا).

ولدى لقائه بمدير مصرف الدم فرع النجف الأشرف الذي حضر مع الكادر المختص أكدّ سماحة المرجع على ضرورة إجراء الفحوص الطبية الضرورية قبل إجراء عقد الزواج للتأكد من سلامة الخطيبين ومنع توريث الحالات المرضية التي تسبّب معاناة للوالدين والطفل، وقدّم السيد المدير شرحاً موجزاً عن عمل مصرف الدم والتقدّم الذي حصل في فعالياته.

وقد حفّز تبرع سماحة الشيخ المرجع جمعاً من أعضاء مكتبه على التبرع أيضاً.

(١١) بتاريخ يوم الأحد ٣/جمادي الثانية/١٤٤٥ الموافق ١٧ /١٢ /٢٠٢٣.

تتمة ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً﴾ [آل عمران: ١٦٤] السيدة الزهراء (عليها السلام) تذكّر الأصحاب بنعمة النبي (صلى الله عليه وآله)

والأهواء والخرافات والحروب والصراعات، وهذا الفرق بين حال الضلال المبين الذي كانوا عليه وحالهم في الإسلام من الوحدة والتآلف والسمو والسعادة واضح لمن قارن بين الوضعين.

ووقوع هذه الآية في سياق الآيات التي تتحدث عن القرح الذي أصاب المؤمنين في أُحُد فقتل من قتل وجرح من جرح، وما أعقبه من الهزيمة النفسية والشكوك التي سرت إلى عقيدتهم ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٥] فيه تخفيف على المسلمين وتسلية عن مصائبهم، بأنهم مهما أصيبوا في أموالهم وأنفسهم وسائر أحوالهم الدنيوية فعليهم أن يصبروا ويحتسبوا ويتساموا على الجراح والمصائب بالتفاتهم إلى هذه النعمة العظيمة التي حباهم الله تعالى بها فتهون عليهم مصائبهم.

هذه النعمة وهي الإسلام وكمالها وتمامها ولاية أهل البيت (عليهم السلام) بحسب آية التبليغ في سورة المائدة وقوله تعالى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(٤) [لقمان: ٢٠]، يلفت الإمام الصادق (عليه السلام) إليها نظر أحد المعدمين ليخفّف عنه شعوره بالحرمان، روى الشيخ الطوسي (رضوان الله تعالى عليه) في كتابه الأمالي بسنده عن الإمام الهادي (عليه السلام) عن آبائه عن موسى بن جعفر (صلوات الله عليهم أجمعين) قال (إن رجلاً جاء إلى سيدنا الصادق (عليه السلام) فشكا إليه الفقر، فقال (عليه السلام): ليس الأمر كما ذكرت وما أعرفك فقيراً. قال ـ الفقير ظناً منه أن الإمام (عليه السلام) يكذّبه في ما ادعى من الفقر ـ: والله يا سيدي ما استبنتَ ـ أي ما حققتَ في حالي وما استوضحتها لتتأكد من صدق كوني فقيراً ـ وذكر من الفقر قطعة والصادق (عليه السلام) يكذّبه، إلى أن قال (عليه السلام) له: خبّرني لو أعطيت بالبراءة منّا مائة دينار ـ والدينار يساوي مثقالاً من الذهب ـ كنت تأخذ؟ ـ أي تتبرأ من الإسلام وولاية أهل البيت (عليهم السلام) بهذا الثمن ـ قال: لا ـ وبدأ الإمام يزيد المبلغ ـ إلى أن ذكر الإمام (عليه السلام) ألوف الدنانير والرجل يحلف أنه لا يفعل، فقال (عليه السلام) له: مَن معه سلعة يعطى بها هذا المال وهو لا يبيعها هل هو فقير؟(٥).

لقد كان النبي (صلى الله عليه وآله) سبباً لإفاضة نعم عظيمة على البشرية لا تعدّ ولا تحصى:

١- به (صلى الله عليه وآله) هدانا الله للإيمان والتوحيد وأخرجنا من ظلمات الكفر والإلحاد وظلم الشرك وذلّ عبادة الآلهة المزيفة ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٢١] ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

٢- علّمنا (صلى الله عليه وآله) الشريعة السمحاء التي تكفل كرامة الإنسان وسعادته وتضمن العدالة الاجتماعية لكل الناس ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧] ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وكلما ابتعد الناس عن القانون الإلهي ووضعوا لأنفسهم قوانين وقعوا في التيه والتخبّط والانحطاط وجرّوا الويلات على البشرية ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

٣- إنه وحّد الأمة وألّف بين قلوبهم بعد أن كانت الفرقة والتشتت والتنازع والتخاصم يفتك بهم ويفنيهم ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

٤- إنه (صلى الله عليه وآله) خلّف لنا الثقلين كتاب الله وعترته أهل بيته المعصومين المطهرين (سلام الله عليهم) ليواصلوا أداء رسالته الإلهية حتى تترسخ في عقول وقلوب ونفوس الناس؛ لأن عمر النبي (صلى الله عليه وآله) القصير وعدم الاستعداد الكافي للأمة حتى تتكامل بسرعة لم يسمحا بحصول التحول الكامل.

٥- اقتلع من المجتمع الأغلال الفكريّة والانحرافات العقائدية والتقاليد الاجتماعية البالية التي كانت تكبّل عقول الناس وتعيق تكامل المجتمع وتوجّه سلوكه نحو الدمار والفناء كالعصبية والجهل والتخلف والانتقام والظلم ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٦- هذّب النفوس بالأخلاق الفاضلة وطهر القلوب من الرذائل والأمراض المعنوية التي كانت تجلب الشقاء والنكد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، وضرب لهم مثلاً أعلى في الأخلاق الحميدة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وأسوة حسنة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١] قال (صلى الله عليه وآله): (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

٧- إنه (صلى الله عليه وآله) الرحمة الواسعة المهداة إلى جميع المخلوقات ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٨- أكرمه الله تعالى بالشفاعة في أمته وهي من بركات المقام المحمود الذي وعده ليساعد الذين خلطوا أعمالهم الصالحة بأخرى سيئة حتى تُغفر لهم فيدخلون الجنة بلا منغصّات ولا عوائق؛ روى الشيخ الطوسي في أماليه عن أنس بن مالك قال: (رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً مقبلاً على علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يتلو هذه الآية ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾ [الإسراء: ٧٩] فقال: يا علي إن ربي عز وجل ملّكني الشفاعة في أهل التوحيد من أمتي وحظر ذلك على مَن ناصبك أو ناصب ولدك من بعدك)(٦).

٩- ما ورد عنه (صلى الله عليه وآله) في تفسير قوله تعالى ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] أنه (صلى الله عليه وآله) قال: (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم، قالوا: يا رسول الله وكيف ذلك؟ فقال (صلى الله عليه وآله): أما حياتي فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ وأما مفارقتي إياكم فإن أعمالكم تعرض عليّ كل يوم فما كان من حسن استزدت الله لكم، وما كان من قبيح استغفرت الله لكم، قالوا: وقد رممت يا رسول الله؟ يعنون صرت رميماً فقال: كلا إن الله تبارك وتعالى حرّم لحومنا على الأرض أن تطعم منها شيئاً)(٧).

١٠- أنه سبب لمغفرة الذنب ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ [النساء: ٦٤].

لقد ذكّرت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أصحاب أبيها بهذه المنّة العظيمة واحتجّت بها عليهم لتحثّهم على الالتزام بوصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي بلّغها عن الله تعالى في أمير المؤمنين (عليه السلام) ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ولكي يفوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بأجر رسالته في أهل بيته ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣] فقالت (عليها السلام) بعد أن وصفت أحوالهم في الجاهلية: (فأنار الله بأبي محمد (صلى الله عليه وآله) ظُلَمَها، وكشف عن القلوب بُهَمها، وجلّى عن الأبصار غُممها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصّرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الصراط المستقيم)(٨).

وقالت (عليها السلام): (وكنتم على شفا حفرة من النار، أذلّة خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (صلى الله عليه وآله) بعد اللتيا والتي)(٩).

لكن القوم صمّوا أسماعهم عن نداء الحق ومضوا إلى تنفيذ إرادة شياطين الجن والإنس وزعيمهم يقول بنصّ العبارة: (اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت)(١٠) متحدياً قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾ [الأحزاب: ٣٦].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الشاكرين لنعمه المتبّعين للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله).

(٤) راجع تفسير الآية في كتاب (من نور القران: ج٥/ ص٢٥٠). (٥) الأمالي، للشيخ الطوسي: ٢٩٨، المجلس (١١)، ح ٥٨٤. (٦) أمالي الطوسي: ٢/ ٧٠، البرهان في تفسير القرآن: ٦/ ٨٦.
(٧) من لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق: ١/ ١٩١. (٨) الاحتجاج: ١/ ١٢٧. (٩) الاحتجاج: ١/ ١٢٩. (١٠) بحار الأنوار: ٢٨/ ٤٠٨، عن تأريخ الطبري وغيره.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]

السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تكشف سبّب معاداة الحق[12]

الآية من سورة البروج التي روى الشيخ الصدوق في فضلها بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (من قرأ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ في فريضة، فإنها سورة الأنبياء، كان محشره وموقفه مع النبيين والمرسلين والصالحين)(١٣).

وتصف السورة موقفاً بطولياً تتجلى فيه أسمى درجات الصبر والتمسك بالعقيدة في مواجهة أساليب التعذيب الوحشي والقتل الذي يمارسه الطغاة المستكبرون ضد المؤمنين الثابتين على الحق، فتحكي السورة قصة جماعة من الموحدين قبل الإسلام أكرههم الملك المتسلط بقوة السلاح على ترك دينهم، فرفضوا وتمسكوا بالحق الذي هم عليه، فحفر لهم شقاً عظيماً طويلاً في الأرض يسمى الأخدود وملأه حطباً وأضرم فيه النار حتى أصبح الأخدود ناراً ملتهبة، قال تعالى: ﴿الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ [البروج: ٤-٥] فالنار هنا بدل عن الأخدود الذي تحوّل إلى لهيب من النار، ثم ألقى فيه جميع المؤمنين والمؤمنات وأبناءهم، وقتلهم بهذه الطريقة القاسية المؤلمة، ومن لم يمت بالنار قتل بالسيف ومثّل به، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يستعظم هذه الحادثة ويستفظعها، روى في الدر المنثور عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (فما ذكرت أصحاب الأخدود إلا تعوّذت بالله من جهد البلاء)(١٤).

ومن تفاصيل هذه الحادثة ما رواه البرقي في المحاسن والطبرسي في مجمع البيان وغيرهما إن المؤمنين كانوا يسارعون إلى إلقاء أنفسهم في النار الملتهبة (فجاءت امرأة معها صبي لها ابن شهر، فلما هجمت على النار هابت ورقّت على ابنها، فناداها الصبي: لا تهابي وارميني ونفسك في النار، فإن هذا والله في الله قليل، فرمت بنفسها في النار وبصبيّها، وكان ممن تكلّم في المهد)(١٥).

ثم يخبر الله تعالى عن مصير القائمين بهذه الجريمة البشعة بلسان الدعاء عليهم بالقتل والانتقام ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ [البروج: ٤] الذين عرّفهم بعد ذلك بقسوة القلب والتلذذ بتعذيب الأبرياء، حيث أقاموا حفلاً واسعاً للإعدام الجماعي وساقوا الناس إلى الحضور بالقوة كالذي كان يفعله المقبور صدّام، وألقوا في النار أبرياء لم يرتكبوا ذنباً ولم يفسدوا في الأرض، وفيهم الشيخ الكبير والمرأة الضعيفة والطفل كالزهرة اليانعة، قال تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: ٧]، ومثل هذا الدعاء على الكافرين ورد في آيات أُخَر كقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧] وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠].

وتكشف الآية الكريمة محل البحث سرّ نقمة أولئك الطغاة المستكبرين من المؤمنين ومعاداتهم لهم، وهو ثبات إيمانهم بالله تعالى وتمسكهم بشريعته والتزامهم بالمنهج الرباني القويم في حياتهم، فلم يقتلوهم لجريمة ارتكبوها أو بدعة أحدثوها أو فساد نشروه وهم أبرأ الناس من كل ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٨-٩] وجاء بفعل المضارع (يؤمنوا) للدلالة على استمرار صمودهم مما أغاظ الكفار ولم يقل (آمنوا).

وذكر هذه الأسماء الحسنى إلى جنب لفظ الجلالة لتأييد هؤلاء المؤمنين والشهادة لهم بأنهم على الحق لأنهم آمنوا بإله له هذه الأوصاف الدالة على العزة والغلبة وجميل الأفعال ومالكية السماء والأرض فلا يستحقون الإيذاء فضلاً عن القتل، لأن حجتهم قوية وإنما على غيرهم أن يتبعوا الحق الذي هم عليه.

وحينما تحكي السورة هذه المشاهد المؤلمة فإنها تدعو المؤمنين والمؤمنات في كل زمان ومكان إلى الصبر والثبات على ما يعانونه في سبيل الله، وتقول لهم إن البلاء الذي ينزل بهم نتيجةٌ طبيعية للصراع الدائم داخل النفس الإنسانية بين جند العقل وجند الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء الميّالة إلى الشهوات، والصراع المستمر بين الحق والباطل، ولاتختص بأصحاب الأخدود، وإن ما ترونه من بلاء هو أخفّ مما نزل بالمؤمنين في الأمم السابقة رحمة بكم وشفقة عليكم، روى الشيخ الكليني في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (وقد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برحبها، فما يردّهم عمّا هم عليه شيء مما هم فيه، من غير تِرَةٍ وَتَروا من فعل ذلك بهم ولا أذى، بل ما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، فاسألوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم)(١٦).

وفي السورة إنذار شديد للطغاة والمستكبرين الذين يحاربون المؤمنين ويعذبونهم ويقتلونهم ويسعون إلى إبعادهم عن دينهم، سواء في ذلك مشركو قريش أو غيرهُم على مدى العصور، بأن العاقبة السيئة ستلحق بكل من قام بمثل هذا الفعل الظالم ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

والآية تشمل كل مثيري الفتن ومسببيها باتجاهاتها المتنوعة كالشبهات العقائدية والمفاسد الأخلاقية والانحرافات الفكرية والاجتماعية والاغراءات المالية والخدع السياسية وغيرها.

وكم هي سعة رحمة الله تعالى وعفوه إذ أبقى باب التوبة مفتوحاً حتى لمثل هؤلاء المجرمين، واستعمال (ثم) قبل ﴿لَمْ يَتُوبُوا﴾ يشير إلى استمرار هذه الفرصة وليس أنها ممنوحة على الفور فقط.

ولم تغفل الآية عن الإشادة بصمود النساء المؤمنات ودورهن في تعزيز قدرة الرجال على الثبات، فخصّهن بالذكر وإن كان لفظ المؤمنين يشملهن بعمومه.

كما أن في السورة بشرى للمؤمنين ووعد صادق لهم بأحسن الجزاء على تمسّكهم بالحق وتضحيتهم من أجله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

تُرى ما الذي صبّر الإنسان الضعيف ذا الجلد الرقيق الذي تؤلمه البقّة كما وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) ودفعه إلى الإقدام على الاحتراق بالنار؟ إنه إيمانه الراسخ بالحق الذي هو عليه، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما ضعف بدن عما قويت عليه النية)(١٧) وأعانه الله تعالى على ذلك بأن كشف له الجنة ونعيمها فهو منشغل بالتلذذ بها، فوقته الوقوع في أسر الشهوات وعصم نفسه من المعاصي، وأراه جهنم فهانت عليه نار الدنيا ومصائبها ومشاكلها، كالمروي أن أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) لم يذوقوا حرّ السيوف لأجل هذه الرؤية لما وراء الغيب، وقد وصفهم أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته (فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون)(١٨).

وكانت حقيقة هذا الصراع واضحة للمؤمنين عبر الأجيال ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٩] لذا فإنهم لم يتنازلوا عن عقيدتهم ومبادئهم السامية وإنما توجهوا إلى الله طالبين الصبر والثبات ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وأولئك الطغاة مهما قدّموا من مبررات لحرب المؤمنين وعدائهم وتسويقها إعلامياً فإن غرضهم هو هذا ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، كما يغلفون اليوم حربهم على الإسلام بمكافحة الإرهاب، ونشر الديمقراطية وحقوق الإنسان، ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل، وإسقاط الأنظمة المستبدّة الفاسدة وغيرها، وهذه الجرائم التي يتحدثون عنها هم من زرعها وقطف ثمرتها.

التتمة في الصفحة الرابعة

(١٢) الخطاب الفاطمي السنوي في نسخته التاسعة عشرة ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على حشود الزوار المعزّين في ساحة ثورة العشرين في النجف الأشرف يوم السبت ٢/جمادي الثانية/١٤٤٥ الموافق ١٦ /١٢ /٢٠٢٣. (١٣) ثواب الأعمال: ١٢٢. (١٤) الدر المنثور: ج٨، ص٤٦٧.
(١٥) المحاسن: ٢٤٩، ح ٢٦٢، مجمع البيان: ١٠/ ٧٠٦، قصص الأنبياء للراوندي: ٢٤٦، ح ٢٩، الدر المنثور: ٨/ ٤٥٦، البرهان: ١٠/ ١٣٧، ح ٢، ٣.
(١٦) الكافي: ج ٨، ص ٢٤٨، تفسير نور الثقلين: ج٤، ص ١٥٣. (١٧) ميزان الحكمة: ج ٤، ص ٣٤١٠. (١٨) نهج البلاغة: ج٢، ص١٦١، خطبة ١٩٣ في وصف المتقين.

تتمة ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨] السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تكشف سبّب معاداة الحق

فعلينا أن نتمسك بإسلامنا مهما كان الثمن، وأن نبرأ من أعداء الله ورسوله ونرفض أفعالهم الظالمة ونحذّر منها، وأن نكون يقظين فطنين لخُدع الأعداء ومكرهم وخططهم الخبيثة، للقضاء على الإسلام المحمدي النقي خصوصاً نحن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) الذين حملنا رسالة الثقلين كتاب الله وأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله)، وقد روى بعض المفسرين عن الإمام الصادق (عليه السلام) في الآية السابقة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (هو علي عليه السلام وشيعته)(١٩).

أيها الأحبة:

لقد كشفت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ربيبة القرآن والعارفة بأسراره وتأويل آياته عن هذه الحقيقة، وأحرجت المتآمرين المخالفين لوصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أمير المؤمنين (عليه السلام)، واستعارت نفس اللفظ القرآني في خطبتها على نساء المهاجرين والأنصار فقالت: (وما الذي نقموا من أبي الحسن (عليه السلام) نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدّة وطأته ونكال وقعته، وتنمّره - أي تشدّده - في ذات الله، وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردّهم إليها وحملهم عليها)(٢٠).

فهم يعلمون علم اليقين بمؤهلات أمير المؤمنين (عليه السلام) لقيادة الأمة وولاية أمورها، ونصّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) على خلافته، وقد بايعوه يوم الغدير على ذلك، إلا أنهم كرهوا فيه أنه يحملهم على الحق المبين والصراط المستقيم ويقوّم الانحراف ويدفع الظلم، ويساوي بين الناس ويحكم بالعدل وليس عنده أحدٌ فوق القانون، فلا يُجامل ولا يُداهن ولا يدخل في مساومات على حساب الحق، ولا يعقد الصفقات المشبوهة مع أصحاب الامتيازات أو الزعامات، قال الإمام امير المؤمنين (عليه السلام): (لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع)(٢١) وهم يريدون شخصاً يحفظ لهم مصالحهم وكبرياءهم وأنانيتهم، ولا يحاسبهم على انحرافهم وظلمهم وتجاوزهم، ويسيّر الناس على هواهم وهذا ما يرفضه أمير المؤمنين (عليه السلام) رفضاً قاطعاً قال: (لا أصلحكم بفساد نفسي)(٢٢).

إن الآيات الكريمة التي حكت حادثة الأخدود توصل للأجيال عدة رسائل واضحة:

أولها: عظمة دين التوحيد والإسلام وما أنعم الله تعالى به من المنّة بحيث يستحق أن يقدّم الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) والصالحون من عباد الله الغالي والنفيس وكل هذه التضحيات الجسيمة بالأرواح والأعزّاء والأموال والمكانة الاجتماعية من أجله.

ثانيها: حثّ غير المسلمين على التأمل في هذا الدين بإنصاف وموضوعية ليعرفوا كيف يربّي أبناءه على رفض الظلم والاستعباد ونصرة الحق، ويمنحهم الطمأنينة وسكون القلب وسمو النفس التي تبحث أكثر شعوب الغرب رفاهية عنها فلا تحصلها، بل تجد القلق والاضطراب والنكد، بينما يجعل الإسلام أتباعه في أرقى حالات الرضا والتسليم وهم يتعرضون لأشد ألوان المحن والمصائب.

علينا أن نصور لهم السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) البنت الوحيدة لنبي الإسلام وهي في عمر الزهور ثمانية عشر عاماً كيف تخفي آلامها وجراحها وهي مسقطة الجنين، مكسورة الضلع، محاصرة من قبل جيش لا يتورع عن حرق دارها، تعض على كل هذه الجراح وتنطلق لنصرة إمامها وتقويم انحراف الأمة.

وعلينا أن نصور لهم الإمام الحسين (عليه السلام) وهو يحمل رضيعه الذي ذبحه السهم ويرمي بدمه إلى السماء ويقول: خُذْ يا ربّ حتى ترضى، أو يقف على ولده علي الأكبر ذي العشرين عاماً وهو مقطع بالسيوف والرماح، وهو يقول: هوّنَ ما نزل بي أنه بعين الله تعالى.

وعلينا أن نصوّر لهم العقيلة زينب (عليها السلام) وهي تضع يديها تحت جسد أخيها سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين (عليه السلام) الشهيد المثخن بمئات الجراحات وهي تقول: (اللهم تقبل منا هذا القربان).

هذه المواقف السامية كلها لا يعرفها العالم، لكنه شاهد ما حصل للشعب الفلسطيني المسلم في أحداث غزة الأخيرة وتأثّر بها أي تأثير، فإن المشاهد العاطفية للمفجوع الذي يودّع طفلته بهدوء وتسليم وهو يقبّلها ويصفها بأنها روح الروح، والأم التي تنعى وحيدها الذي انتظرته سنين وأنفقت الأموال الطائلة لمعالجة العقم حتى رُزقت به، والأطفال الذين يُطمئنون آبائهم وأمهاتهم وهم تحت الأنقاض الثقيلة بين الحياة والموت.

هذه المشاهد العاطفية الإنسانية المؤثرة وما صاحبها من حالات الصبر والثبات والإصرار على نيل الحق هزّت ضمير العالم، ودفعت غير المسلمين إلى البحث للتعرّف على دين الإسلام الذي ألهم أتباعه هذه الطمأنينة والرضا والسلام، وهذا الإصرار على نيل الحقوق المشروعة والسلوك السامي، واعتنق الإسلام عدد منهم.

إذن علينا أن نبيّن للعالم تضحيات أهل البيت (عليهم السلام) الجسيمة وصبرهم واحتسابهم في سبيل الله تعالى ونصرة الحق، خصوصاً ما جرى على السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وولدها الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء، فإن ما لاقوه أفظع وأشدّ إيلاماً لكل ضمير حي مما شاهدوه في غزة، وحينئذٍ ستكون هذه أبلغ دعوة للإسلام المحمدي الأصيل الذي حفظه أهل البيت (عليهم السلام) وأوصلوه إلى الأجيال.

من هنا تبرز أهمية إحياء الشعائر الدينية وأثرها الكبير في حفظ وإدامة الحق، فكما نقل الله تعالى لنا مظلومية المؤمنين في العصور السابقة كشهداء حادثة الأخدود لنتفاعل معها ونتبرأ من الظالمين أعداء الله تعالى ورسوله، وننشر عقيدة العدالة والاستقامة والسلام وتكريم الإنسان، فعلينا أن نؤدي نفس هذه الرسالة في تعظيم شعائر أهل بيت العصمة (سلام الله عليهم) والتذكير بمظلوميتهم، ولا ننظر إليها على أنها مجرد حوادث تاريخية انقضى زمانها، فجزاكم الله خير الجزاء أيها المتفجعّون لمصاب السيدة الزهراء (عليها السلام) على حضوركم لنصرتها في إقامة الحق الذي استشهدت من أجله.

(١٩) البرهان: ١٠ /١٣٧. (٢٠) الاحتجاج: ١/ ١٣٨. (٢١) نهج البلاغة: ٤/ ٢٦، قصار الكلمات رقم ١١٠، أي لا يجامل في الحق، ولا يشابه أهل الباطل في أفعاله، ولا يتبع أهواءه وأطماعه على خلاف الحق.
(٢٢) نهج البلاغة: ج ١، ص٣٠٣.

استفتاء حول مسألة اجتماعية

سماحة المرجع الديني آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الوارف)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ما رأي سماحتكم في حكم الأكل في مآتم العزاء التي تقام على الميت حيث يضطر صاحب العزاء إلى بذل أموال طائلة تثقل كاهله وأغلب الناس ذات دخل محدود؟

وما هي وصيتكم في مثل هذه الأمور؟

نفع الله بكم البلاد والعباد مع وافر الشكر والتقدير.

جمع من المؤمنين

بسمه تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذه عادة مخالفة لما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) وعن أهل بيته المعصومين (عليهم السلام) فإن السنة الشريفة دلت على العكس أي أن بعض المؤمنين يعدّون الطعام لذوي الميت مواساة لهم وتخفيفاً عن مصابهم الذي شغلوا به كما صنع النبي (صلى الله عليه وآله) مع عائلة الشهيد جعفر الطيار (رضوان الله تعالى عليه) حيث أمر بإعداد الطعام لعائلة الشهيد الطيار.

فنهيب بجميع إخواننا المؤمنين أن يتجنبوا هذه العادة ولا يحمّلوا ذوي الميت عبئاً إضافياً على مصابهم، وقد يكون من ذوي الميت قاصر فلا يجوز الصرف من تركة الميت التي تكون للقاصر حصة منها، وقد لا يرضى حتى بعض البالغين بالصرف على مثل هذه الولائم فيكون التصرف في ماله حراماً، مضافا الى ما يحصل من الإسراف في الطبخ بحيث يذهب كثير من الطعام الى حاوية النفايات فليتورع المؤمنون عن الوقوع في هذه المعاصي وإذا أراد ذوو الميت الاطعام كسباً للثواب فليعدوا وجبات ويوزعوها على العوائل المحتاجة ليقع البرّ في موضعه. والله المستعان. وهو ولي التوفيق.

محمد اليعقوبي
٤/جمادي الأخرى/١٤٤٥
١٨ / ١٢ / ٢٠٢٣

جميع الحقوق محفوظة لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي